التقابل والتباين
بين سورتي الذاريات والطور

(دراسة موازنة)

الدكتورة إشراق فائق مهدي
كلية الإمام الأعظم الجامعة
قسم أصول الدين بنات / بغداد

ملخص البحث

يتناول هذا البحث دراسة فاحصة في سورتين متتاليتين من حيث ترتيب السور في المصحف الشريف وهي سورة الذاريات وسورة الطور، وتشتمل هذه الدراسة على البحث في مواطن المشاكلة والمناظرة تقابلا وتباينا بين هاتين السورتين؛ إذ كلا منهما تناولا موضوعات موحدة بينهما وهي القسم وجوابه ثم بيان حال أهل النار وحال أهل الجنة ثم المحاججة، وقد تشابها في ذلك تماما من حيث العنوان، ولكنهما اختلفا وافترقا تنوعا من حيث الألفاظ والأسلوب فكانتا كالبستانين تشابها من حيث الزروع نباتا، واختلفا من حيث النوعية ثمارا.

ويهدف هذا البحث إلى إظهار العلل في تنوع التعبير بين السورتين في موضوعيهما المذكورين وكيف أن ذلك جاء لخدمة كل موطن في محله من السورة بما يتناسب مع السياق واللفظ والمعنى وترابط الآيات جنبا إلى جنب مما يثبت إعجاز هذا الكتاب العظيم وكيف أنه تحدى كل سامعيه من أن يأتوا بمثله أو بسور مثله أو بسورة مثله.

والله أسأل أن يفتح على وأن يوفقني لخدمة كتابه العظيم وأن يكون ذلك خالصا لوجهه الكريم، وأن يكون نافعا لي ولكل من ينظر فيه ويقرأه وأن يسامحني في مواطن التقصير والخطأ إنه هو الغفور الرحيم. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

Research Summar:

This research deals with a close study of two successive surah's in terms of the order of the surah is in the Holy Qur'an, which are Surat Al-Dhariyat and Surat Al-Tur. This study includes research into the areas of problem and debate in contrast and contrast between these two surah's. As both of them dealt with topics that were common to them, namely the oath and its response, then explaining the condition of the people of Hell and the condition of the people of Paradise, then the argument, and they were completely similar in that in terms of the title, but they differed and differed widely in terms of wording and style, so they were like gardeners, similar in terms of plant crops, and they differed in terms of quality. Fruits .This research aims to show the reasons for the diversity of expression between the two surah's in their two mentioned topics and how that came to serve each place in its place in the surah in a way that is appropriate to the context, pronunciation, meaning and interconnection of the verses side by side, which proves the miraculous nature of this great book and how it challenged all its listeners to come With something like it, or with a surah like it, or with a surah like it.I ask God to open my eyes to me and to enable me to serve His great book, and that it be pure for His noble face, and that it be beneficial for me and for everyone who looks into it and reads it, and that He forgives me in my shortcomings and mistakes. Indeed, He is the Forgiving, the Merciful.

God bless our Prophet Muhammad and his family and him

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد؛

فمن خلال تتبعي لآيات الذكر الحكيم، والتلاوة المستمرة للقران الكريم لفت انتباهي وجود مشتركات وتشابه بين سورتي الذاريات والطور، من حيث الألفاظ والجمل والآيات والموضوع والأسلوب. وهذا يثبت لنا إعجاز القرآن من حيث تصريف الآيات بأشكال مختلفة تتقابل وتتباين حسب السياق وحسب تناول الموضوعات، وهذا ما يكشف لنا أهمية الموضوع.

وهذا الموضوع يهدف إلى إثبات وجه جميل من وجوه الإعجاز بطريقة ملفتة للنظر حيث يظهر التشابه والاختلاف في آن واحد بين الآيات المتناظرة في الموضوع المتحدة في السياق المختلفة في الأسلوب.

ولذا أرتأيت أن أبحث في هاتين السورتين وأن أبرز وجوه التقابل والتباين عن طريق الكشف عن معاني الآيات وتفسيرها، لكي يتم الوصول إلى رؤية جمالية التنوع في اختيار الألفاظ وانتقاء المفردات وتركيب الجمل حسب السياق مع وحدة العناوين في كلا السورتين مما يرسخ مبدأ الإعجاز في هذا الكتاب العظيم، ويظهر روعة الأساليب بما يخدم كل اسلوب لسياق وهدف كل سورة من السورتين.

وقد قسمت البحث على أربعة مباحث مسبوقة بتمهيد موجز السورتين وهذه المباحث هي: المبحث الأول: القسم وجوابه

المطلب الأول: القسم وجوابه

المطلب الثاني: التقابل والتباين

المبحث الثاني: أهل النار

المطلب الأول: حال أهل النار

المطلب الثاني: التقابل والتباين

المبحث الثالث: أهل الجنة

المطلب الأول: حال أهل الجنة

المطلب الثاني: التقابل والتباين

المبحث الرابع: المحاججة

المطلب الأول: حالة المحاججة

المطلب الثاني: التقابل والتباين
الخاتمة
المصادر

تمهيد

١-تعريف التقابل والتباين:

التقابل لغة:

التقابل من (قبل: نقيض بعد. والقبل والقبل: نقيض الدبر والدبر. ووقع السهم بقبل الهدف وبدبره. وقد قميصه من قبل ومن دبر، بالتثقيل، أي من مقدمه ومن مؤخره)[١].

ومنه قيل: و(القبل في العين: إقبال السواد على المحجر، ويقال بل هو إقباله على الأنف. والقبل: النشز من الأرض يستقبلك. تقول: رأيت بذلك القبل شخصا. والقبيل: الكفيل; يقال قبل به قبالة، وذلك أنه يقبل على الشيء يضمنه)[٢].

وقد (قابل الشيء بالشيء مقابلة وقبالاً: عارضه. الليث: إذا ضممت شيئا إلى شيء قلت قابلته به ومقابلة الكتاب بالكتاب وقباله به: معارضته. و تقابل القوم : استقبل بعضهم بعضا)[٣].

التباين:

التباين من (البون والبون مسافة ما بين الشيئين)[٤].

ويقال(بينهما بون بعيد وبون - على وزن حور وحور - وبين بعيد أيضا، أي فرق)[٥].

وهو من البين: أي الفراق. تقول منه: بان يبين بينا وبينونة. والبين: الوصل وهو من الأضداد... يقال بانه يبونه ويبينه، وبينهما بون بعيد وبين بعيد[٦]

٢- بين يدي السورتين

أولاً: سورة الذاريات:

وهي مكية[٧].

---

(١) الصحاح للجوهري ٥/ ١٧٩٥

(٢) مقاييس اللغة ٥/ ٥٢

(٣) لسان العرب (٥/ ٣٥١٩)

(٤) ينظر: المصدر نفسه (١/ ٣٩١)

(٥) ينظر: مقاييس اللغة (١/ ٣٢٢)

(٦) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (٥/ ٢٠٨٢)

(٧) ينظر: الإتقان في علوم القرآن ١ / ٤٣

وآياتها ستون باتفاق العادِّين، ولا اختلاف فيها. ومقصودها: الدلالة على صدق ما أنذرت به سورة ق تصريحاً، وبشرت به تلويحاً، ولا سيما من مصاب الدنيا، وعذاب الآخرة[1].

وتهدف الى:

أن الرزق كله بيد الله، وأن العطاء والمنع بأمر من الله، وذلك في الدنيا والآخرة.. فإذا انحرفت عن طريق الله وطاعته، فأين ستذهب؟ [2].

ولذا فإنها تستهدف ربط القلب البشري بالسماء وتعليقه بغيب الله المكنون ... وتطمين النفس من جهته[3].

ثانياً: سورة الطور:

وهي أيضاً مكية[4].

وآيها أربعون وسبع آيات في المدنيين والمكي، وثمان في البصري.

وتسع في الكوفي والشامي[5].

وجه وضعها بعد الذاريات: تشابههما في المطلع والمقطع؛ فإن في مطلع كل منهما صفة حال المتقين ، وفي مقطع كل منهما صفة حال الكفار[6].

(١) ينظر: مصاعد النظر ٣ / ٢٤.

(٢) ينظر: خواطر قرآنية ص ٣٧٠.

(٣) ينظر: في ظلال القرآن ٢٧ / ٣٣٧٣.

(٤) ينظر: الإتقان في علوم القرآن ١ / ٤٣.

(٥) ينظر: مصاعد النظر ٣ / ٢٧.

(٦) ينظر: اسرار ترتيب القرآن ص ١٣٣.

المبحث الأول
مطلع السورتين

المطلب الأول: القسم وجوابه:

أولاً: سورة الذاريات:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ ۝٦﴾ [الذَّارِيَات: ٦]

﴿ وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا ۝١﴾ [1].

هي (الرياح لأنها تذرو التراب وغيره)[2].

﴿فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ وِقۡرٗا ۝٢﴾ [3].

وهي (السحاب تحمل المطر، والوقر: الحمل وهو مفعول به)[4].

﴿فَٱلۡجَٰرِيَٰتِ يُسۡرٗا ۝٣﴾ [5].

وهي الفلك. تجري جرياً ذا يسر، أى ذا سهولة [6].

﴿فَٱلۡمُقَسِّمَٰتِ أَمۡرًا ۝٤﴾ [7].

والمراد بها (الملائكة يقسمون الأمر بين الخلق على ما أمروا به، أقسم الله تعالى بهذه الأشياء، لما فيها من الدلالة على صنيعه وقدرته) [8].

﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٞ ۝٥ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٞ ۝٦﴾ [9].

جواب للقسم وفي تخصيص الأمور المذكورة بالإقسام بها رمز إلى شهادتها بتحقق مضمون الجملة المقسم عليها من حيث إنها أمور بديعة مخالفة لمقتضى الطبيعة فمن قدر عليها فهو قادر على البعث الموعود وما موصولة أو مصدرية ووصف الوعد بالصدق كوصف العيشة بالرضا والدين الجزاء

(١) سورة الذاريات، الآية ١

(٢) الكشاف ٤/ ٣٩٤

(٣) سورة الذاريات، الآية ٢

(٤) التسهيل ٢ / ٣٠٦

(٥) سورة الذاريات، الآية ٣

(٦) ينظر: مدارك التنزيل ٣ / ٣٧١

(٧) سورة الذاريات، الآية ٤

(٨) الوسيط في التفسير ٤ / ١٧٣

(٩) سورة الذاريات، الآية ٥ - ٦

ووقوعه حصوله[1].

فيكون مقصد القسم وجوابه : والمعنى ورب الرياح الذاريات، ورب السفن الجاريات، ورب الملائكة المقسمات، إنما توعدون لصادق وإن الدين لواقع ، أي إن المجازاة على أعمالكم لواقعة [2].

أقسم سبحانه بالرياح وذروها التراب، وحملها السحاب، وجريها فى الهواء بيسر وسهولة، وتقسيمها الأمطار، إن هذا البعث لحاصل، وإن هذا الجزاء لا بد منه فى ذلك اليوم، يوم يقوم الناس لرب العالمين.

وهنا أقسم سبحانه بالرياح وأفعالها، لما يشاهدون من آثارها ونفعها العظيم لهم فهى التي ترسل الأمطار مبشرات برحمته، ومنها تسقى الأنعام والزروع، وبها تنبت

البساتين والجنات وتصير الأرض القفر مروجا، وعليها يعتمدون فى معاشهم، فآثارها واضحة أمامهم، ولا عجب أن تكون لها المنزلة العظمى فى نفوسهم[3].

وأفعال الرياح تخالف ناموس الجاذبية، فإن ما على الأرض منجذب إليها، واقع عليها، ولكن هذه الرياح تتصرف تصرفا عجيبا تابعا لسير الكواكب، فبجريها وجرى الشمس تؤثر فى أرضنا وهوائها بنظام محكم، فما ذرت الرياح التراب، ولا حملت السحاب، ولا قسمت المطر على البلاد إلا بحركات فلكية منتظمة، من أجل هذا جعل ذلك براهين على البعث والإعادة[4].

ثانياً: سورة الطور:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ۝٨﴾ [الطُّور: ٨]

﴿ وَٱلطُّورِ ۝١﴾ [5].

المراد بالطور (الجبل الذي كلم الله تعالى عليه وموسى عليه السلام بالأرض المقدسة أقسم الله تعالى به)[6].

﴿ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ۝٢﴾ [7].

(١) ينظر: إرشاد العقل السليم ٨ / ١٣٦

(٢) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٥ / ٥١

(٣) ينظر: تفسير المراغي ٢٦ / ١٧٥ - ١٧٦

(٤) ينظر: تفسير المراغي ٢٦ / ١٧٥ - ١٧٦

(٥) سورة الطور، الآية ١

(٦) معالم التنزيل ٤ / ٢٨٩

(٧) سورة الطور، الآية ٢

أي : الكتاب الذي كتبه الله لملائكته في السماء يقرؤون فيه ما كان وما يكون ، أو هو القرآن مكتوب عند الله في اللوح المحفوظ[1].

﴿ فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ ۝٣﴾ [2].

الرق هو: (الورق المعدة للكتب وهي مرققة فلذلك سميت رقا، وقد غلب الاستعمال على هذا الذي هو من جلود الحيوان. والمنشور: خلاف المطوي، وقد يحتمل أن يكون نشره بمعنى بشره وترقيقه وصنعته)[3].

﴿ وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ ۝٤﴾ [4].

والمقصود به هنا (هو بيت حذاء العرش تعمره الملائكة، يصلي فيه كل يوم سبعون ألفا من الملائكة ثم لا يعودون إليه)[5].

﴿ وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ ۝٥﴾ [6].

وهو(السماء التي رفعها بلا عمد يرونها من أسفل)[7].

﴿ وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ۝٦﴾ [8].

أي: الموقد، أو المملوء. فيحتمل أن يكون المملوء ناراً[9].

﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ۝٧﴾ [10].

هذا هو المقسم عليه، أي: الواقع بالكافرين.

﴿ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ۝٨﴾ [11].

أي: ليس له دافع يدفعه عنهم إذا أراد الله بهم ذلك[12].

---

(١) ينظر: النكت والعيون ٥/ ٣٧٧

(٢) سورة الطور، الآية ٣

(٣) المحرر الوجيز ٥ / ١٨٦

(٤) سورة الطور، الآية ٤

(٥) تفسير القرآن العظيم ٧ / ٣٩٩

(٦) سورة الطور، الآية ٥

(٧) تأويلات أهل السنة ٩ / ٤٠١

(٨) سورة الطور، الآية ٦

(٩) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ١٧ / ٦١

(١٠) سورة الطور، الآية ٧

(١١) سورة الطور، الآية ٨

(١٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم ٧ / ٤٣٠

ووجه دلالة هذه الأمور المقسم بها على ذلك أنها أمور تدل على كمال قدرة الله تعالى وحكمته وصدق أخباره وضبطه أعمال العباد للمجازاة[1].

وتضمن هذا القسم خمسة أشياء وهي مظاهر آياته وقدرته وحكمته الدالة على ربوبيته ووحدانيته فالطور هو مظهر بركة الدنيا والآخرة، والكتاب المسطور أقسم الله به لعظمته وجلالته وما تضمنه من آيات ربوبيته وأدلة توحيده وهداية خلقه، والبيت المعمور بالملائكة وعبادتهم. والسقف المرفوع وهو السماء فإنها من أعظم آياته قدراً وارتفاعاً وسعةً وسمكاً ولوناً وإشراقاً، والبحر المسجور وهو آية عظيمة من آياته وعجائبه لا يحصيها إلا الله [2].

وأقسم سبحانه بهذه الأمور على المعاد والجزاء ، ولما كان الذي يقع قد يمكن دفعه أخبر سبحانه أنه لا دافع له وهذا يتناول أمرين أحدهما أنه لا دافع لوقوعه والثاني أنه لا دافع له إذا وقع[3].

المطلب الثاني: وجه التقابل والتباين:

في سورة الذاريات كان جواب القسم بقوله: ﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ۝٥ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ ۝٦﴾ [الذَّارِيَات: ٥ - ٦].

وفي سورة الطور كان جواب القسم بقوله: ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ۝٧ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ۝٨﴾ [الطُّور: ٧ - ٨].

ووجه ذلك والله أعلم : أن سورة الذاريات تقدمها في في السورة ق قبلها إخباره سبحانه بالعودة الأخروي وإقامة البرهان على ذلك لمن وفق لاعتباره فقال تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ۝٦﴾ [4]. ثم أعقب بذكر مكذبي الأمم وما حق عليهم من الوعيد الأخراوي بعد أخذ كل منهم في الدنيا بذنبه، ثم استمرت آي هذه السورة على هذا المنهج من ذكر البعث وحصر أعمال المكلفين وكتبها عليهم، مع علمه سبحانه بما توسوس به نفوسهم ووقوع الجزاء على ذلك، غفلة المكذب عن ذلك كله حتى يكشف له الغطاء فيشاهد ما لم يكن يحتسبه، أعقب بإزلاف الجنة للمتقين ووصفهم بما منحهم ووعدهم عليه، ثم أعقب بأمر نبيه صلى الله عليه وسلم بالصبر والتزام ما أمره به، وأن يذكّر بالقرآن المستجيبين الخائفين وعيده سبحانه، فلما اشتملت السورة على أوعاد وجزاء أعقبت بالقسم على ذلك، من صدق وعده سبحانه ووعيده، ووقوع الحساب على الأعمال . أما سورة

(١) ينظر: أنوار التنزيل ٥ / ١٥٢

(٢) ينظر: التبيان في أقسام القرآن ص ٢٦٤ - ٢٧٠

(٣) ينظر: المصدر نفسه ص ٢٦٤ - ٢٧٠

(٤) سورة ق، الآية ٦

الطور فالقسم فيها مرتبط بما أتصل به ووقع عليه القسم من قوله تعالى خاتمة سورة الذاريات: ﴿ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ۝٥٩﴾ [1]. فأتبع قسماً على هذا ما جاء في بداية سورة الطور[2].

(١) سورة الذاريات، الآية ٥٩

(٢) ينظر ملاك التأويل ٢ / ٤٤٨

المبحث الثاني
حال أهل النار

المطلب الأول: حال أهل النار

أولاً: في سورة الذاريات:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ذُوقُواْ فِتْنَتَكُمْ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٤﴾﴾ [الذَّارِيَات: ١٤]

﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ ﴿٧﴾﴾ [1].

الحبك : (هو الإحكام من الإحتباك وهو شد الإزار)[2]. أي (أي ذات الطرائق، مثل الطرائق التي تكون في الماء إذا هبت عليه الرياح، وكذلك حبك الزرع، وهي الطرائق التي فيه. وقيل: الحبك: النجوم. وقيل: زينة السماء وقيل: حسن خلقتها وواحد الحبك حباك أو حبيكة.) [3].

﴿ إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ﴿٨﴾﴾ [4].

واختلافهم (في الرسول صلى الله عليه وسلم وهو قولهم تارة أنه شاعر وتارة أنه ساحر وتارة أنه مجنون، أو في القرآن أو القيامة أو أمر الديانة، ولعل النكتة في هذا القسم تشبيه أقوالهم في اختلافها وتنافي أغراضها بطرائق السموات في تباعدها واختلاف غاياتها)[5].

﴿ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ﴿٩﴾﴾ [6].

يعني هنا (يصرف عن الإيمان به من صرف حتى يكذبه، يعني من حرمه الله الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن. وقيل عن بمعنى: من أجل، أي: يصرف من أجل هذا القول المختلف أو بسببه عن الإيمان من صرف ، وذلك أنهم كانوا يتلقون الرجل إذا أراد الإيمان فيقولون: إنه ساحر وكاهن ومجنون، فيصرفونه عن الإيمان)[7].

---

(١) سورة الذاريات، الآية ٧.

(٢) المفردات في غريب القرآن ص ١١٤.

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي الكلبي ٢ / ٣٠٦.

(٤) سورة الذاريات، الآية ٨.

(٥) أنوار التنزيل ٥ / ١٤٦.

(٦) سورة الذاريات، الآية ٩.

(٧) معالم التنزيل ٤ / ٢٨١.

﴿ قُتِلَ ٱلۡخَرَّٰصُونَ ﴿١٠﴾﴾ [1].

قتل أي: بمعنى لعن، والقتل إذا أخبر عن الله به كان بمعنى اللعنة، لأن من لعنه الله كان بمنزلة المقتول الهالك. والخراصون هم الكذابون، يقال: قد تخرص على فلان الباطل ، وهم الذين، قالوا: محمد شاعر كذاب، مجنون، ساحر، خرصوا ما لا علم لهم به[2]. وحقيقة ذلك (أن كل قول مقول عن ظن وتخمين يقال خرصاً سواء كان مطابقاً للشيء أو مخالفاً)[3].

﴿ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي غَمۡرَةٖ سَاهُونَ ﴿١١﴾﴾[4].

الغمرة: (الانهماك في الباطل واللهو. وسميت غمرة لأنها شيء يستر الحق عن عين صاحبها)[5]. أى: (قتل الله في غمرة في جهل يغمرهم ساهون غافلون عما أمروا به يسئلون فيقولون أيان يوم الدين أى متى يوم الجزاء)[6].

ثم أخبر عن ذلك اليوم، فقال: ﴿ يَسۡـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوۡمُ ٱلدِّينِ ﴿١٢﴾﴾ [7]. يحرقون، ويعذبون بها، ألم تر أن الذهب إذا أدخل في النار، قيل: فتن؟ وتقول لهم خزنة النار: ﴿ يَوۡمَ هُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ يُفۡتَنُونَ ﴿١٣﴾﴾[8]. في الدنيا تكذيبا به[9].

ثانياً: في سورة الطور:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾﴾ [الطُّور: ١٤].

﴿ يَوۡمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوۡرٗا ﴿٩﴾﴾[10].

العامل في الظرف (لواقع) أي: إنه لواقع في هذا اليوم، ويجوز أن يكون العامل فيه دافع. والمور: الاضطراب والحركة. ومعنى الآية أن العذاب يقع بالعصاة ولا يدفعه عنهم دافع في هذا اليوم الذي تكون فيه السماء هكذا، وهو يوم القيامة. وقيل: إن السماء ها هنا الفلك، وموره: اضطراب نظمه واختلاف سيره[11]. يقال :

---

(١) سورة الذاريات، الآية ١٠

(٢) ينظر: الوسيط في التفسير ٤ / ١٧٤

(٣) المفردات في غريب القرآن ص ١٥٢

(٤) سورة الذاريات، الآية ١١

(٥) معجم مقاييس اللغة ٤ / ٣٩٣

(٦) الكشاف ٤/ ٣٩٧

(٧) سورة الذاريات، الآية ١٢

(٨) سورة الذاريات، الآية ١٣

(٩) ينظر: الوسيط في التفسير ٤ / ١٧٤

(١٠) سورة الطور، الآية ٩

(١١) ينظر: فتح القدير للشوكاني ٥ / ١١٤-١١٥

مار الدم على وجهه ، وناقة تمور في سيرها فهي موَّارة[1].

﴿ وَتَسِيرُ ٱلۡجِبَالُ سَيۡرٗا ﴿١٠﴾﴾[2].

يعني هنا أنَّ (سير الجبال هو في أول الأمر، ثم تتفتت أثناء السير حتى تصير آخرا كالعهن المنفوش)[3].

﴿ فَوَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾﴾[4].

وقد (دخلت الفاء ؛ لأنه في معنى: اذا كان كذا وكذا فأشبه المجازاة ؛ لأن المجازاة يكون خبرها بالفاء)[5]..

﴿ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي خَوۡضٖ يَلۡعَبُونَ ﴿١٢﴾﴾[6].

الخوض: وهو من (خضت الماء وغيره. وتخاوضوا في الحديث والأمر، أي تفاوضوا وتداخل كلامهم)[7]. وحقيقته : (هو البحث عن الشيء، إلا أن الخوض المطلق ذكروه واستعملوه في الباطل خاصة)[8].. أي (يخوضون في حديث محمد عليه السلام، بالتكذيب، والاستهزاء، يلهون بذكره)[9].. أي (فيما كان بالباطل؛ لأنه مأخوذ من الخوض في البحر أو في الوحل، فيراد به الإكثار، والتعرض لتقحم الأخطار)[10].

﴿ يَوۡمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾﴾ [11].

أي : يدفعون، إلى نار جهنم دعاً أي : دفعاً بعنف وجفوة، وذلك أن خزنة جهنم يغلون أيديهم إلى أعناقهم، ويجمعون نواصيهم إلى أقدامهم، ثم يدفعونهم إلى النار دفعا على وجوههم، وزجاً في أقفيتهم حتى يردوا النار، فإذا دنوا منها قال لهم خزنتها[12].

---

(١) المفردات في غريب القرآن ص ٤٨٠.

(٢) سورة الطور، الآية ١٠.

(٣) المحرر الوجيز ٥ / ١٨٧.

(٤) سورة الطور، الآية ١١.

(٥) معاني القرآن للأخفش ٢ / ٥٢٥.

(٦) سورة الطور، الآية ١٢.

(٧) مقاييس اللغة (٢/ ٢٢٩).

(٨) تأويلات أهل السنة ٤٠٣/٩.

(٩) الوسيط في التفسير ٤ / ١٨٥.

(١٠) تفسير المنار ١٠ / ٤٥٦.

(١١) سورة الطور، الآية ١٣.

(١٢) ينظر: معالم التنزيل ٢٩١/٤.

(مقولاً لهم تبكيتاً وتوبيخاً : هذه النار أي: الجسم المحرق المفسد لما اتى عليه الشاغل عن اللعب بالنار ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ۝٧﴾ [الطُّور : ٧] في الدنيا ﴿ يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ۝٩ وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا ۝١٠ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝١١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ۝١٢﴾ [الطُّور : ٩ - ١٢] على التجدّد والاستمرار)[1].

المطلب الثاني: التقابل والتباين:

في سورة الذاريات وصف الله السماء بأنها ذات طرائق وهذا في الدنيا، وفي سورة الطور وصف حال السماء في الآخرة وهو المور والإضطراب، والسبب والله أعلم أن حال السماء في سورة الذاريات يتناسب مع القسم وهو حال الرياح والسفن وهي أحوال الدنيا. أما حال السماء في سورة الطور فيتناسب مع القسم الذي هو الطور والكتاب والبيت المعمور والبحر إذا سجر وهذه أحوال ليس لها علاقة بحال أهل الدنيا.

كما نجد في الذاريات دعاء بالهلاك على أصحاب ذلك القول المختلف؛ لأن المقصود بقتلهم أن الله يهلكهم، ولذلك يكثر أن يقال: قاتله الله، ثم أجري مجرى اللعن والتحقير والتعجيب من سوء أحوال المدعو عليه بمثل هذا[2].

وفي الطور نعت أهل النار ووصف أمرهم بأنهم في خوض (وهو البحث عن الشيء، إلا أن الخوض المطلق ذكروه واستعملوه في الباطل خاصة)[3]. وأنهم يدفعون إلى النار دفعاً وهذا (يدل على هول نار جهنم، لأن خزنتها لا يقربون منها وإنما يدفعون أهلها إليها من بعيد ويلقونهم فيها وهم لا يقربونها)[4].

وقد علل جزاء أهل النار في الذاريات بسبب استعجالهم أي : (هذا ما كنتم تطلبون تعجيله في الدنيا استهزاء منكم، وقيل هي بدل من فتنتكم)[5] ، وفي الطور علل جزاءهم بسبب التكذيب أي : (هذه النار التي تشاهدونها هي النار التي كنتم تكذبون بها في الدنيا، والقائل لهم بهذه المقالة هم خزنة النار)[6].

والسبب والله أعلم أن الاستعجال والاستهزاء يتناسب مع حال النفس الإنسانية عندما تغريها الدنيا وتفتتن بها، أما التكذيب فهو استبطاء يوم الآخرة وبالتالي التكذيب به.

(١) السراج المنير ٤/ ١١٢

(٢) ينظر: التحرير والتنوير ٢٦ / ٣٤٣

(٣) تأويلات أهل السنة ٩ / ٤٠٣

(٤) مفاتيح الغيب ٢٨ / ٢٠٤

(٥) فتح البيان في مقاصد القرآن ١٣ / ١٩٣

(٦) فتح القدير للشوكاني ٥ / ١١٥

المبحث الثالث
حال أهل الجنة

المطلب الأول:

أولاً: في سورة الذاريات:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ﴿١٩﴾ ﴾ [الذَّارِيَات: ١٩]

﴿ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ﴾ (١).

أي : الذين كانت التقوى لهم وصفاً ثابتاً في بساتين عظيمة وهم في داخلها ، وفي عيون جارية في خلال الجنان (٢).

﴿ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَبۡلَ ذَٰلِكَ مُحۡسِنِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ (٣).

وهنا (لما ذكر حال الكفار، ذكر حال المؤمنين، وانتصب آخذين على الحال)(٤). أي: (آخذين ما أعطاهم ربهم، ومعنى الأخذ هو دخولهم الجنة ووصولهم إلى ما وعدوا من الثواب)(٥). أو يحتمل (آخذين بما أمرهم ربّهم، عاملين بالفرائض التي أوجبها عليهم)(٦). ويحتمل أيضاً (آخذين ما آتاهم ربهم قابلين لكل ما أعطاهم راضين به، يعنى أنه ليس فيما آتاهم إلا ما هو متلقى بالقبول مرضى غير مسخوط، لأن جميعه حسن طيب)(٧).

﴿ كَانُواْ قَلِيلٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ (٨).

يعني: في الدنيا، محسنين في أعمالهم. ثم ذكر إحسانهم، فقال: ﴿ وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ (٩) والهجوع: (النوم. والتهجاع: النومة الخفيفة)(١٠). وهو هنا :(النوم بالليل دون النهار، وما صلة، والمعنى: كانوا يهجعون قليلا من الليل، يصلون أكثر الليل، قال عطاء: وذلك حين أمروا بقيام الليل،

(١) سورة الذاريات، الآية ١٥

(٢) ينظر: نظم الدرر ١٨ / ٤٥٤ والسراج المنير ٤/ ٩٥

(٣) سورة الذاريات، الآية ١٦

(٤) البحر المحيط ٩ / ٥٥١

(٥) تفسير السمعاني ٥ / ٢٥٣

(٦) الكشف والبيان ٩ / ١١١

(٧) الكشاف ٤ / ٣٩٨

(٨) سورة الذاريات، الآية ١٧

(٩) سورة الذاريات، الآية ١٨

(١٠) الصحاح للجوهري ٣/ ١٣٠٥

ثم نزلت الرخصة)[1].

﴿ وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ١٩﴾[2].

والأسحار (من السحر، والسحرة، وهو قبل الصبح. وجمع السحر أسحار. ويقولون: أتيتك سحر)[3].

وهنا (إشارة إلى أنهم كانوا يتهجدون ويجتهدون يريدون أن يكون عملهم أكثر من ذلك وأخلص منه ويستغفرون من التقصير وهذا سيرة الكريم يأتي بأبلغ وجوه الكرم ويستقله ويعتذر من التقصير، واللئيم يأتي بالقليل ويستكثره ويمن به)[4].

﴿ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ ٢٠﴾[5].

أي : (وجعلوا فى أموالهم جزءا معينا ميزوه وعزلوه للطالب المحتاج، والمتعفف الذي لا يجد ما يغنيه، ولا يسأل الناس، ولا يفطنون إليه ليتصدقوا عليه)[6].

ثانياً: في سورة الطور:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَعِيمٖ ١٧﴾[7].

يعني: (في جنات ونعيم في أية جنات وأى نعيم، بمعنى الكمال في الصفة. أو في جنات ونعيم مخصوصة بالمتقين خلقت لهم خاصة)[8].

﴿ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ وَوَقَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ١٨﴾[9].

أي: ذوي فاكهة كثيرة، ومعناه: معجبين ناعمين في قول ابن عباس وغيره، يقال: فكه الرجل بالكسر فهو فكه إذا كان طيب النفس. ﴿ بِمَآ ءَاتَىٰهُمۡ ﴾ أي أعطاهم[10].

﴿ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٩﴾[11].

---

(١) التفسير الوسيط ٤ / ١٧٥

(٢) سورة الذاريات، الآية ١٩

(٣) مقاييس اللغة ٣ / ١٣٨

(٤) مفاتيح الغيب ٢٨ / ١٦٨

(٥) سورة الذاريات، الآية ٢٠

(٦) تفسير المراغي ٢٦ / ١٧٦

(٧) سورة الطور، الآية ١٧

(٨) الكشاف ٤ / ٤١٠

(٩) سورة الطور، الآية ١٨

(١٠) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ١٧ / ٦٥

(١١) سورة الطور، الآية ١٩

ويحتمل هنا وجهين أحدهما: أن يكون المراد أنهم فاكهون بأمرين أحدهما: بما آتاهم، والثاني: بأنه وقاهم وثانيهما: أن يكون ذلك جملة أخرى منسوقة على الجملة الأولى، كأنه بين أنه أدخلهم جنات ونعيما ووقاهم عذاب الجحيم[1].

﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٖ مَّصۡفُوفَةٖۖ وَزَوَّجۡنَٰهُم بِحُورٍ عِينٖ ﴿٢٠﴾﴾[2].

أي يقال: لهم كلوا واشربوا أكلاً وشرباً هنيئاً، أو طعاماً وشراباً هنيئاً، فالكلام بتقدير القول: وهنيئاً نصب على المصدرية؛ لأنه صفة مصدر. أو على أنه مفعول به، والهنيء كل ما لا يلحق فيه مشقة ولا يعقب وخامه بما كنتم تعملون أي بسببه أو بمقابلته[3].

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖۚ كُلُّ ٱمۡرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٞ ﴿٢١﴾﴾[4].حال من ضمير﴿ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ ﴾ [الطُّور : ١٩].أي يقال لهم كلوا واشربوا حال كونهم متكئين، أي وهم في حال إكلة أهل الترف المعهود في الدنيا، فقد كان أهل الرفاهية يأكلون متكئين ، والسُرُر: جمع سرير، وهو ما يضطجع عليه. والمصفوفة: المتقابلة، والمعنى: أنهم يأكلون متكئين مجتمعين للتأنس، وجملة وزوجناهم عطف على متكئين فهي في موضع الحال. ومعنى زوجناهم: جعلنا كل فرد منهم زوجاً، أي غير مفرد، أي قرناهم بنساء حور عين. والباء للمصاحبة، أي جعلنا حوراً عيناً معهم[5].

المطلب الثاني: التقابل والتباين:

للسائل أن يسأل عن اختلاف ما اختلف من الأخبار عن أهل الجنة في هاتين السورتين؟

والجواب أن يقال: إنه تعالى أخبر عنهم في الذاريات أنهم صاروا إلى الجنة بأعمال عددها ودعا العباد إليها ليفعلوا فعلهم لها .... ثم قال: ﴿وَعُيُونٖ ﴿١٥﴾﴾ لما كان المعنى بالجنات البساتين التي لها ظلال، والظل والماء مطلوبان للعرب، ولكن ما ذرأ الله من النسم، قرن إلى الجنات العيون، ثم قال: ﴿ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَبۡلَ ذَٰلِكَ مُحۡسِنِينَ ﴿١٦﴾﴾[6]. أي: متقبلين عطية ربهم، لأنهم أحسنوا في هذه الدنيا في فعلهم، فاقتدوا بهم لتكونوا كمثلهم، وأقلوا الهجوع بالليل لتنالوا مثل نيلهم، واستغفروا لتفوزوا كما فازوا

(١) ينظر: مفاتيح الغيب ٢٨ / ٢٠٦

(٢) سورة الطور، الآية ٢٠

(٣) ينظر: روح المعاني ١٤ / ٣٢

(٤) سورة الطور، الآية ٢١

(٥) ينظر: التحرير والتنوير ٢٧ / ٤٧

(٦) سورة الذاريات، الآية ١٦

باستغفارهم، وأخرجوا فضلات أموالكم لمن يسأل من الفقراء، ومن يحرم نفسه بترك السؤال كما أخرجوها فغنموا بها، واعتبروا بالآيات التي نصبها الله تعالى في الأرض كالجبال الراسيات، والعيون الجاريات، وما يطلع منها من نام وغير نام من جواهر المعادن، فإنهم به اعتبروا، وبه وصلوا، إلى ما وصلوا. وهذه الآية، تدل على أن وصف أهل الجنة في هذه السورة بالأعمال التي قدموها تتضمن أمر المكلفين بمثل ما جعل خبرا عنهم أنهم فعلوه ، فلما كان القصد في هذه السورة الحث على أفعال أهل الجنة بالآيات المتعلقة بوصفهم المخلصة لخطاب من يدعى إلى فعلهم، استمر الكلام على هذا النظم إلى أن انتهى إلى ذكر الأنبياء، عليهم الصلاة والسلام وأممهم الكافرة، وما أنزله من العذاب بأمة أمة منهم[1].

وأما الآية التي في سورة الطور فإنه وصف تعالى نعيمهم في الجنة وأصناف ما حصلوا فيه من اللذة. (ومجرد الوقاية من عذاب الجحيم الذي عرضت مشاهده في هذه السورة فضل ونعمة. فكيف ومعه جنات ونعيم وهم يلتذون ما آتاهم ربهم ويتفكهون)[2]. فهم فاكهون مترفهون مسرورون فيها مطمئنين راضون بما آتاهم ربهم بمقتضى فضله وسعة جوده ولطفه وبما وقاهم وحفظهم ربهم عذاب الجحيم اى عن أهوالها وافزاعها[3].

(١) ينظر: درة التنزيل ص ١٢٠٤ - ١٢٠٧

(٢) في ظلال القرآن ٢٧ / ٣٣٩٦

(٣) ينظر: الفواتح الإلهية ٢ / ٣٥٨

المبحث الرابع
المحاججة

المحاججة وهي (من إحتج على خصمه بحجة شهباء، وبحجج شهب. وحاج خصمه فحجه، وفلان خصمه محجوج، وكانت بينهما محاجة وملاجة. وسلك المحجة)[1].

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ ۝٥٢ أَتَوَاصَوۡاْ بِهِۦۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ طَاغُونَ ۝٥٣ فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ ۝٥٤﴾[2] .

﴿ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذَنُوبٗا مِّثۡلَ ذَنُوبِ أَصۡحَٰبِهِمۡ فَلَا يَسۡتَعۡجِلُونِ ۝٥٩﴾[3].

المطلب الأول: المحاججة في (الذاريات، الطور):

أولاً: سورة الذاريات:

﴿ كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ ۝٥٢﴾[4].

هنا (يقول تعالى مسلياً لنبيه صلى الله عليه وسلم : وكما قال لك هؤلاء المشركون قال المكذبون الأولون لرسلهم)[5]. أي : (كذلك الأمر، أى مثل ذلك، وذلك إشارة إلى تكذيبهم الرسول وتسميته ساحراً ومجنوناً)[6].

﴿ أَتَوَاصَوۡاْ بِهِۦۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ طَاغُونَ ۝٥٣﴾[7].

يعني: توافقوا، وتواطؤوا فيما بينهم. وأوصى الأول الآخر أن يقولوا ذلك. ويقال: توافقوا، وتواطؤوا به كل قوم، وجعلوا كلمتهم واحدة أن يقولوا ساحر أو مجنون. بل هم قوم طاغون يعني: عاتين في معصية الله تعالى[8].

---

(١) أساس البلاغة ١/ ١٦٩

(٢) سورة الذاريات، الآية ٥٢، ٥٣، ٥٤

(٣) سورة الذاريات، الآية ٥٩

(٤) سورة الذاريات، الآية ٥٢

(٥) تفسير القرآن العظيم ٧ / ٣٦٩

(٦) الكشاف ٤ / ٤٠٥

(٧) سورة الذاريات، الآية ٥٣

(٨) ينظر: بحر العلوم ٣ / ٣٤٨

قال تعالى: ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ ﴿٥٤﴾﴾[1].

هنا توجيه الله (لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: فتول يا محمد عن هؤلاء المشركين بالله من قريش، يقول: فأعرض عنهم حتى يأتيك فيهم أمر الله) [2].

﴿ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ﴿٥٩﴾﴾[3].

أي: فإنَّ (للذين ظلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتكذيب نصيباً من العذاب. مثل ذنوب أصحابهم مثل نصيب نظرائهم من الأمم السالفة، وهو مأخوذ من مقاسمة السقاة الماء بالدلاء، فإن الذنوب هو الدلو العظيم المملوء. فلا يستعجلون)[4].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الطُّور: ٣٢]

﴿ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾﴾ [الطُّور: ٤٨]

ثانياً: سورة الطور:

﴿ فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾﴾[5].

أي : فذكر يا محمد من أرسلت إليه من قومك وغيرهم، وعظهم بنعم الله عندهم ، فلست بنعمة الله عليك بكاهن تتكهن، ولا مجنون له رئي يخبر عنه قومه ما أخبره به، ولكنك رسول الله، والله لا يخذلك[6].

﴿ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾﴾[7].

أي بل يقولون محمد شاعر، خوطب العباد بما جرى في كلامهم. وقال قوم من الكفار تربصوا بمحمد الموت يكفيكموه كما كفى شاعر بني فلان. فنتربص به إلى ريب المنون فحذف حرف الجر، كما تقول: قصدت زيدا وقصدت إلى زيد. والمنون: الموت وهو المنايا، أو: حوادث الأمور، أو : الليل والنهار، وسميا بذلك لأنهما ينقصان الأعمار ويقطعان الآجال[8].

﴿ قُلْ تَرَبَّصُواْ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾﴾ [9].

---

(١) سورة الذاريات، الآية ٥٤.

(٢) جامع البيان ٢٢ / ٤٤٢.

(٣) سورة الذاريات، الآية ٥٩.

(٤) أنوار التنزيل ٥ / ١٥١.

(٥) سورة الطور، الآية ٢٩.

(٦) ينظر: جامع البيان ٢٢ / ٤٤٧.

(٧) سورة الطور، الآية ٣٠.

(٨) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ١٧ / ٧١ - ٧٢.

(٩) سورة الطور، الآية ٣١.

أي: (انتظروا موتي أو هلاكي، فإني معكم من المتربصين لموتكم أو هلاككم)[1].

﴿ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [2].

أم تأمرهم أحلامهم أي : عقولهم وكانت قريش يدعون أهل الأحلام والنهى ؛ لأن جميع العالم يأتونهم ويخالطونهم وبذلك يكمل العقل ، وهذا يعرب عن أن القوم لتحيرهم وعصبيتهم وقعوا في حيص بيص حتى اضطربت عقولهم وتناقضت أقوالهم وكذبوا أنفسهم من حيث لا يشعرون، وأمر الأحلام بذلك مجاز عن التأدية إليه بعلاقة السببية كما قيل، وقيل: جعلت الأحلام آمرة على الاستعارة المكنية فتشبه الأحلام بسلطان مطاع تشبيها مضمرا في النفس، وتثبت له الأمر على طريق التخييل أم هم قوم طاغون مجاوزون الحدود في المكابرة والعناد لا يحومون حول الرشد والسداد ولذلك يقولون ما يقولون من الأكاذيب المحصنة الخارجة عن دائرة العقول[3].

﴿ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾﴾[4].

أي دون يوم القيامة، وهو إما عذاب القبر، أو القحط، أو النوازل التي تذهب بأموالهم وأنفسهم ، واللفظ صادق بالجميع ولكن أكثرهم لا يعلمون أي سنة الله في أمثالهم من الفجرة[5].

المطلب الثاني: التقابل والتباين:

نجد في الذاريات قوله تعالى : ﴿ أَتَوَاصَوْا۟ بِهِۦ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾﴾[6].أي: أوصى أوائلهم أواخرهم في تسميتهم الرسل - عليهم السلام -: سحرة ومجانين؛ وأن يوافق بعضهم بعضا في نسبتهم الرسل إلى السحر والجنون، أي: لم يزل الكفرة يقولون لرسلهم ذلك. ويحتمل أن يكون ذلك على التمثيل، لا على حقيقة القول منهم؛ لما كان اجتماعهم لأجل هذا القول في كل وقت؛ فصار ذلك الاجتماع منهم كالتواصي من بعضهم لبعض، والله أعلم. ولذلك يخبر أنهم لا عن جهل وشبهة قالوا: إنهم سحرة، ولكن عن طغيان، وتعدي حد الله - عز وجل - والمجاوزة له؛ لأن الطاغي؛ هو المجاوز عن الحد الذي جعل له، والمتعدي عنه[7].

---

(١) فتح القدير للشوكاني ٥ / ١١٩.

(٢) سورة الطور، الآية ٣٢.

(٣) ينظر: روح المعاني ١٤ / ٣٧.

(٤) سورة الطور، الآية ٤٨.

(٥) ينظر: محاسن التأويل ٩/ ٥٤ - ٥٥.

(٦) سورة الذاريات، الآية ٥٣.

(٧) ينظر: تأويلات أهل السنة ٩ / ٣٩٣.

أما في الطور فنجد قوله تعالى : ﴿ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾﴾[1]. أي عقولهم بهذا أي بهذا التناقض في المقال فإن الكاهن يكون ذا فطنة ودقة نظر في الأمور والمجنون المغطى عقله مختل فكره والشاعر ذو كلام موزون متسق مخيل فكيف يجتمع أوصاف هؤلاء في واحد وأمر الأحلام بذلك مجازعن أدائها إليه {أم هم قوم طاغون} مجاوزون الحدود في المكابرة والعناد لا يحرمون الرشد والسداد ولذلك يقولون ما يقولون من الأكاذيب الخارجة عن دائرة العقول والظنون[2].

وكذلك في الذاريات نجد قوله تعالى: ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ ﴿٥٤﴾﴾[3]. يقابل ما جاء في الطور وهو قوله : ﴿ فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾﴾[4]. ففي الذاريات نفيه - جل وعلا - للوم عن نبيه - صلى الله عليه وسلم - ليدل على أنه أدى الأمانة ونصح للأمة[5]. وهذا يتناغم مع أمره له بالتولي عنهم وتركهم أي : (لا لوم عليك فقد أديت الرسالة وما قصرت فيما أمرت به[6].

أما في الطور فهو على العكس وهو أمره عليه الصلاة والسلام بالتذكير فقال : ﴿ فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾﴾[7]. أي : فاثبت على ما أنت عليه من التذكير من التذكير بما أنزل إليك من الآيات والذكر الحكيم ولا تكترث بما يقولون مما لا خير فيه من الأباطيل ﴿ فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾﴾[8]. بحمده وإنعامه بصدق النبوة ورجاحة العقل كما يقولون قاتلهم الله أني يؤفكون[9]. والمعنى (انتفى عنك الكهانة والجنون بسبب نعمة الله تعالى عليك، وهذا كما تقول ما أنا معسر بحمد الله تعالى وإغنائه، والمراد الرد على قائل ذلك، وإبطال مقالتهم فيه عليه الصلاة والسلام وإلا فلا امتنان عليه صلى الله تعالى عليه وسلم بانتفاء ما ذكر مع انتفائه عن أكثر الناس)[10].

ومن ذلك أيضاً نجد في الذاريات وعد الله الظالمين بأن لهم ذنوباً أي: نصيباً من عذاب الله مثل ذنوب أصحابهم أي: مثل نصيب أصحابهم ونظائرهم من القرون المهلكة فلا يستعجلون أي: بنزول العذاب[11]. وهو (مناسب لما قبله ؛ وذلك لأنه تعالى بين أن من يضع نفسه في موضع عبادة غير الله يكون وضع

(١) سورة الطور، الآية ٣٢.
(٢) ينظر: إرشاد العقل السليم ٨ / ١٥٠.
(٣) سورة الذاريات، الآية ٥٤.
(٤) سورة الطور، الآية ٢٩.
(٥) ينظر: أضواء البيان ٧ / ٤٤٣.
(٦) معالم التنزيل ٤ / ٢٨٧.
(٧) سورة الطور، الآية ٢٩.
(٨) سورة الطور، الآية ٢٩.
(٩) ينظر: إرشاد العقل السليم ٨ / ١٥٠.
(١٠) روح المعاني ١٤ / ٣٣٦.
(١١) الأساس في التفسير ١٠ / ٥٥٢٤.

الشيء في غير موضعه فيكون ظالما، فقال إذا ثبت أن الإنس مخلوقون للعبادة فإن الذين ظلموا بعبادة الغير لهم هلاك مثل هلاك من تقدم)[1].

بينما في الطور وعد الله الظالمين بعذاب في قوله عز وجل : ﴿ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [2]. أي أوقعوا الأشياء في غير مواقعها كما يقولونه في القرآن، ويفعلونه من العصيان ويعتقدون من الشرك والبهتان عذاباً دون ذلك أي غير عذاب ذلك اليوم الصعب المرير، أو أدنى رتبة منه، إن كان المراد بالعصق ما يكون بعد البعث فبعذاب البزرخ في القبور، وإن كان المراد به الموت فيما يلقونه في الدنيا من عذابي بواسطتكم مثل تحيزكم إلى الأنصار في دار الهجرة ومعدن النصرة وصيرورتكم في القوة بحيث تناصبونهم الحرب، وتعاطونهم الطعن والضرب، فتكونوا بعد أن كنتم طوع أيديهم قذى في أعينهم وشجاً في حلوقهم ودحضاً لأقدامهم ونقضاً لإبرامهم، ومثل القحط الذي حصل لهم والسرايا التي لقيتموها فيها مثل سرية حمزة أسد الله وأسد رسوله، وعبيدة بن الحارث وعبيد الله بن جحش التي كانت مقدمة لغزوة بدر[3].

(١) مفاتيح الغيب ٢٨ / ١٩٧.

(٢) سورة الطور، الآية ٤٧.

(٣) ينظر: نظم الدرر ١٩ / ٣٦.

الخاتمة

بعد إتمام هذا البحث ألخص هنا النتيجة والخاتمة، فقد ترسخ لي جلياً ثبت التوقيف في الترتيب بين السورتين؛ وذلك لما انكشف من الصلة والتقارب بين السورتين، حيث كل سورة تممت معنى سابقتها. فالقسم بين السورتين متباين وكذلك جوابه. كما أن وصف المتقين بين السورتين متنوع الصفات بينهما وكذلك وصف الكفار.

كما يظهر لنا كيف هو حال أهل الجنة مع أهل النار متقابلين في السورة الواحدة ثم مقابلة حاليهما بين السورتين أنفسهما. مما يوضح لدينا عمق ورسوخ الإعجاز في السورتين، حيث جاءت الآيات متنوعة في الأسلوب متناظرة في السياق متقابلة في الألفاظ متباينة في الشكل.

وعن طريق ذلك يظهر وجه التقابل والتباين بين السورتين في استخدام الألفاظ وتناول الموضوع وتصوير الحال بين موضوعي السورتين وتباين الأسلوب بينهما. مما يجعل يرسم لنا جمال الأسلوب وبراعة البيان واستيعاب اللغة بما يخدم هدف السورتين ويتناغم مع سياق كلٍ منهما، فالإفتتاح بالقسم مع جوابه، وتبيين حال أهل النار وحال أهل الجنة والمحاججة ما هو إلا رسم للوحتين جميلتين توأمتين تتشابهان بالشكل وتتغايران بالذات.

المصادر والمراجع

- بعد القرآن الكريم.

١-أساس البلاغة: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ) تحقيق: محمد باسل عيون السود الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.

٢-الإتقان في علوم القرآن المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م.

٣-إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم «المؤلف: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى «المتوفى: ٩٨٢هـ» الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٤-الأساس في التفسير «المؤلف: سعيد حوّى «ت١٤٠٩ هـ» دار السلام - القاهرة ط٦ ١٤٢٤ هـ.

٥- أسرار ترتيب القرآن المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) الناشر: دار الفضيلة للنشر والتوزيع.

٦- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن «المؤلف: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي «ت ١٣٩٣هـ» دار الفكر بيروت - لبنان: ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ مـ.

٧- «أنوار التنزيل وأسرار التأويل «، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي»ت: ٦٨٥هـ»المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي: دار إحياء التراث العربي-بيروت - ط١- ١٤١٨ هـ.

٨-بحر العلوم المؤلف: أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى: ٣٧٣هـ)

٩- «البحر المحيط في التفسير «: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي «ت: ٧٤٥هـ» المحقق: صدقي محمد جميل: دار الفكر - بيروت: ١٤٢٠ هـ.

١٠- «تأويلات أهل السنة «المؤلف: محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي «ت: ٣٣٣هـ» المحقق: د. مجدي باسلوم: دار الكتب العلمية - بيروت ط١، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

١١-التبيان في أقسام القرآن المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) المحقق: محمد حامد الفقي الناشر: دار المعرفة، بيروت، لبنان.

١٢-التسهيل لعلوم التنزيل المؤلف: أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (ت: ٧٤١هـ) المحقق: الدكتور عبد الله الخالدي الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٦ هـ.

١٣- تفسير السمعاني أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: ٤٨٩هـ) المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم الناشر: دار الوطن، الرياض - السعوديةالطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

١٤- «التحرير والتنوير»: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي «المتوفى: ١٣٩٣هـ»: الدار التونسية للنشر - تونس سنة النشر: ١٩٨٤ هـ.

١٥- «تفسير القرآن العظيم»: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي «ت٧٧٤هـ» المحقق:محمد حسين شمس الدين: دار الكتب العلمية بيروت ط١، ١٤١٩هـ

١٦- «تفسير المراغي»: أحمد بن مصطفى المراغي «ت: ١٣٧١هـ»: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر ط١ ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م

١٧- «تفسير المنار» المؤلف: محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين القلموني الحسيني «ت ١٣٥٤هـ»: الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة: ١٩٩٠ م.

١٨- «جامع البيان في تفسير القرآن» المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري «ت ٣١٠هـ» المحقق: أحمد محمد شاكر: مؤسسة الرسالة ط١، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

١٩- «الجامع لأحكام القرآن»: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي «ت ٦٧١هـ» تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش: دار الكتب المصرية - القاهرة ط٢ ١٩٦٤ م

٢٠- درة التنزيل وغرة التأويل المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأصبهاني المعروف بالخطيب الإسكافي (المتوفى: ٤٢٠هـ) معهد البحوث العلمية مكة المكرمة الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

٢١- «روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني» شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي «ت ١٢٧٠هـ» المحقق: علي عبد الباري عطية الناشر: دار الكتب العلمية.

٢٢- «السراج المنير «: شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي «المتوفى: ٩٧٧هـ» الناشر: مطبعة بولاق «الأميرية» - القاهرة عام النشر: ١٢٨٥ هـ.

٢٣-الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية المؤلف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ) تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار الناشر: دار العلم للملايين - بيروت الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

٢٤-فتح البيان في مقاصد القرآن أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (المتوفى: ١٣٠٧هـ) الناشر: المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا - بَيروت عام النشر: ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.

٢٥- «فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير «: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني «ت: ١٢٥٠هـ» دار ابن كثير، دمشق، بيروت ط١ - ١٤١٤ هـ.

٢٦-الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية المؤلف: نعمة الله بن محمود النخجواني، ويعرف بالشيخ علوان (المتوفى: ٩٢٠هـ) الناشر: دار ركابي للنشر - الغورية، مصر الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م.

٢٧- «في ظلال القرآن»، سيد قطب الطبعة الشرعية ٣٤ دار الشروق ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.

٢٨-الكشف والبيان عن تفسير القرآن المؤلف: أبو إسحاق أحمد بن إبراهيم الثعلبي (المتوفى: ٤٢٧ هـ) الناشر: دار التفسير، جدة - المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، ١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م.

٢٩- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل «المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله «ت ٥٣٨هـ» دار الكتاب العربي- بيروت ط٣ - ١٤٠٧ هـ.

٣٠-لسان العرب المؤلف: ابن منظور المحقق: عبد الله علي الكبير + محمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي دار النشر: دار المعارف البلد: القاهرة.

٣١- محاسن التأويل «المؤلف: محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي «ت ١٣٣٢هـ» المحقق: محمد باسل عيون السود: دار الكتب العلميه - بيروت ط١ - ١٤١٨ هـ.

٣٢- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز المؤلف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ) المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ.

٣٣- مدارك التنزيل وحقائق التأويل «أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي «ت٧١٠هـ» حققه: يوسف علي بديوي: دار الكلم الطيب، بيروت ط١،١٩٩٨ م

٣٤- مَصَاعِدُ النَّظَرِ للإِشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السِّوَرِ ويُسَمَّى: «المَقْصِدُ الأَسْمَى في مُطَابَقَةِ اسْمِ كُلِّ سُورَةٍ لِلمُسَمَّى» المؤلف: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ) دار النشر: مكتبة المعارف - الرياض الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م.

٣٥-معالم التنزيل «أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي «ت٥١٠هـ» المحقق: عبد الرزاق المهدي دار إحياء التراث العربي-بيروت ط١ ١٤٢٠ هـ.

٣٦- «معاني القرآن للزجاج وإعرابه «المؤلف: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج «ت٣١١هـ» المحقق: عبد الجليل عبده شلبي: عالم الكتب - بيروت ط١ ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

٣٧-مفاتيح الغيب المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي «ت٦٠٦هـ» دار إحياء التراث العربي بيروت ط٣ ١٤٢٠هـ.

٣٨-المفردات في غريب القرآن المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى «ت ٥٠٢هـ» المحقق: صفوان عدنان الداودي دار القلم، دمشق بيروت ط١ ١٤١٢هـ.

٣٩-مقاييس اللغة المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين «ت ٣٩٥هـ» المحقق: عبد السلام محمد هارون دار الفكر ١٩٧٩م.

٤٠- ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل المؤلف: أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، أبو جعفر (المتوفى: ٧٠٨هـ) الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

٤١-نظم الدرر في تناسب الآيات والسور المؤلف: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ) الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

٤٢-النكت والعيون المؤلف: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ) المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان.

٤٣- الوسيط في تفسير القرآن المجيد المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ) الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م.